

المحاضرة الثانية :

مجالات تطبيق السيميولوجيا وعلاقته بالعلوم الأخرى : لقد صار التحليل السيميولوجي تصورا نظريا ومنهجيا تطبيقيا في شتى المعارف والدراسات الإنسانية والفكرية والعلمية وأداة في مقارنة الأنساق اللغوية وغير اللغوية. وأصبح هذا التحليل موضة لا بد من الالتجاء إليها قصد عصرنة الفهم وآليات التأويل والقراءة، إذ يطبق المنهج السيميولوجي في مجالات متعددة ومتنوعة، ويستعمل في معالجة العلامات اللغوية (النص الشعري مثلا) وغير اللغوية (اللوحة التشكيلية مثلا)، إذ يشير بيرس في إحدى مقولاته "لم أستطع أبدا دراسة أي شيء -رياضيات، أخلاق، ميتافيزيقا، جاذبية ديناميكية الحرارة، بصريات، كيمياء، علم التشريح المقارن، علم الفلك، علم النفس، صوتيات، اقتصاد، تاريخ العلوم لعبة الورق، رجال ونساء، خمور، قياسية -إلا وفق الدراسة السيميولوجية".

في مجال السينما (سيميولوجية السينما): وقد وظف كريستيان ميتر المنهج السيميولوجي في دراسة السينما؛ أي الأشرطة السينمائية والأفلام باعتبارها علامات سمعية-بصرية. و صدرت له في هذا الصدد مجموعة من الكتابات والدراسات؛ من ذلك كتابه الموسوم بـ "Essais sur la signification au cinéma" والذي يقع في جزأين اثنتين. وقد تحدث فيه عن الخُذَع السينمائية، وعالجها معالجة سيميولوجية، وقسمها إلى ثلاثة مستويات، هي: مستوى الكاميرا (التقاط الصورة)، ومستوى المشهد السينمائي (عمل الممثلين)، ومستوى تركيب الفيلم. كما أنجز ميتر عملا أكاديميا أكثر تنظيرا في السيميولوجيا، وهو "Langage et cinéma" الذي نُشر في باريس عام 1971. وقد استند فيه إلى معارفه النظرية حول السينما الروائية. وفي كتابه Essais sémiotiques، تحدث ميتر عما أسماه "سيميولوجيا السينما"... فهذه الدراسات وغيرها تؤكد أن ميتر رائد في تجريب المنهج السيميائي في دراسة السينما. وقد اعتبرته برنارد توسان "مؤسس سيميولوجيا السينما" وبعد ميتر، تطورت الأعمال السيميولوجية المتمحورة حول دراسة السينما بفضل مجلة (çà) الباريسية التي كان لها الفضل في نشر عدد من الأبحاث والمقالات في هذا الاتجاه.

في مجال الإشهار : لقد طُبِق المنهج السيميائي في مجال دراسة اللوحات الإشهارية والمُلصقات، وذلك بالنظر إلى التطور الكبير الذي شهده الإشهار، وإلى قابليته الواضحة للمقاربة السيميولوجية، ومن الدارسين البارزين في هذا الميدان نذكر رولان بارث الذي كتب مجموعة من الأبحاث في معالجة الملصقات واللوحات الإشهارية، ومن ذلك كتابه الموسومة "ببلاغة الصورة Rhétorique de l'image التي حل فيها صورة إشهارية لشركة بانزاني (PANZANI) المختصة في صناعة المعجنات ، ليكون بذلك أول من قدم منهجية سيميولوجية لتحليل الصورة

الثابتة وبالتحديد الصورة الإشهارية ، هذا بالإضافة إلى سعيه بصفة عامة إلى وضع "بلاغةٍ للصورة" كما يدل على ذلك عنوان الدراسة .

وبالإضافة إلى بارث، نجد جورج بينينو (G. Peninou) الذي اهتم هو أيضا بدراسة الرسائل الإشهارية و ذلك في كتابه "Intelligence de la publicité : étude sémiotique" الصادر عام 1972، واهتم بهذا الموضوع أيضا جورداين (Jourdain) ، ولابروز (Laprose) ، ودورون (Durand) الذي يعد "أكبر منظرٍ معاصر للأبحاث السيميولوجية حول الإشهار .

القصص المصورة: لقد ظهرت مجموعة من الدراسات السيميولوجية في القصة المصورة بوصفها شكلا أدبيا موجها إلى الأطفال بصورة رئيسة . ويعد بيير فريزنولت دوريل (P. F. Deruelle) رائدا في هذا المجال وذلك بأطروحاته الجامعية التي أنجزها عام 1970، وصدرت عن دار (Hachette) الفرنسية عامين بعد ذلك.

واستعمل المنهج السيميائي في فن الرسم وفي قراءة اللوحات التشكيلية، وذلك مع أوبيرداميش (E.Damish) وجون لويس شيفر (J.L. Schefer) ولويس مارتان .. (L. Martin) واستعمل كذلك في قراءة الصور الفوتوغرافية، وفي دراسة المسرح كما عند هيلبو . وطبق بعضهم السيميولوجيا في مجال الموسيقى، وظهرت كتابات ومقالات قيمة في هذا الشأن، وكانت مجلة (Musique en jeu) المَحْضَن الأول للدراسات السيميولوجية الموسيقية عامي 1970 و1971م. إلا أنه ليس من السهل تأسيس السيميائية الموسيقية؛ لأنها لا تعتمد فقط على المادة الموسيقية ولكن أيضا على المادة الصوتية الموسيقية يتعلق كل ما سبق ببعض العلامات غير اللسانية التي عولجت معالجة سيميائية. أما العلامات اللسانية، فقد حظيت باهتمام أعداد كبيرة من الباحثين. وهكذا، توصل كلود بريمون (C . Bremond) بالمنهج السيميولوجي في دراسة الحكاية في كتابه "Logique du récit" ، وذلك تحت تأثير الشكلاني الروسي فلاديمير بروب (V.Propp) الذي احتفل كثيرا بدراسة الأدب الفولكلوري. في حين طبق تودوروف هذا المنهج في مجال الرواية، أما جوليا كريستيفا فقد طبقت في تحليل الأشعار وقراءتها...

أما سيميولوجيا المسرح فهو منهج ينصب على تحليل النص أو العرض، ويهتم بالتنظيم الشكلي للنص أو الفرجة، وكذا بالتنظيم الداخلي للأنساق الدالة التي يتألف منها النص و الفرجة، كما يعني بديناميكية سيرورة الدلالة، وبإنتاج المعنى بواسطة تدخل الممارسين و الجمهور .

فهو يركز على العلامات اللغوية و غير اللغوية، وبتعبير آخر تفكيك العلامات المنطوقة (الحوار و التواصل اللغوي بصراعه الدرامي و تفاعل الشخصيات و العوامل الدرامية...) و العلامات البصرية (السينوغرافيا-التواصل-الديكور-الإشارة-الأزياء-الإكسسوارات...).

ويقول ميشال فوكو حول هذه السيميولوجيا بأنها لا تهتم بالكشف عن المعنى بل تهتم بنمط إنتاج المعنى عبر العملية المسرحية، التي تمتد من قراءة المخرج للنص وصولاً إلى النشاط التأويلي للمتفرج، فهي درس عتيق و حدائي في الآن ذاته.

ويمكن الآن أن نذكر مجموعة من الحقول التي استعملت فيها المنهج السيمولوجي تفكيكا وتركيبا :

- 1- الشعر (مولينو - رومان جاكسون - جوليا كريستيفا - جيرار دولودال - ميكائيل ريفاتير....)
- 2- الرواية والقصة: (كريمة - كلود بريموند - بارت - كريستيفا - تودوروف - جيرار جنيت - فيليب هامون....)
- 3- الأسطورة والخرافة: (فلاديمير بروب...)
- 4- المسرح (هيلبو - كير إيلام . (Elam Kei)
- 5- السينما (كريستيان ميتز - يوري لوتمان....)
- 6- الإشهار (رولان بارت - جورج بنينو - G. Penino جان دوران (J. Durand).
- 7- الأزياء والأطعمة والأشربة والموضة (رولان بارث...)
- 8- التشكيل وفن الرسم: (بييرفوكستيل - Pierre Francastel- لويس مارتان - louis Martin هوبرت داميش - Ebert Damisch جان لويس شيفر...)
- 9- التواصل: (جورج مونان - برييطو....)
- 10- الثقافة : (يوري لوتمان - توبوروف - بياتيكورسكي - إيفانوف - أوسبنسكي - أمبرطو إيكو - روسي لاندي ..)
- 11- القصة المصورة : La bande dessinée بيير فريزنولد دوريل (Pierre Fresmanlt-Deruelle)
- 13- الموسيقى: مجلة Musique en jeu في سنوات 70-1971....)

علاقة السيميائيات بالمجالات الأخرى (اللسانيات خاصة)

مما لا شك فيه أن للسيميائيات علاقات بحقول معرفية أخرى كما سبق لنا أن رأينا -مع دسوسير- العلاقة القوية بين علم السيميولوجيا وبين السيكولوجيا من جهة، وبينه وبين السوسولوجيا من جهة ثانية، كما أن للسيميولوجيا روابط مع أنواع أخرى من مجالات التفكير، حيث يقول جان كلود كردان: "من المؤكد أن علم السيميولوجيا هو التقلية الراهنة، إذ لا تمر شهوّر دون أن نعثر على إحالات جديدة تشير إلى العلائق التي يقيمها مع شتى أنواع مجالات التفكير التي كانت تبدو إلى حد الآن في غير حاجة إليها"

لقد ذهب دسوسير إلى أن اللسانيات جزء من علم عام هو "السيميولوجيا" يقول: "على أن اللسانيات ليست إلا جزءا من هذا العلم العام، فالقوانين التي قد تستخلصها السيميولوجيا ستكون قابلة للتطبيق في مجال اللسانيات وإن القوانين التي ستكشف عنها السيميولوجيا ستكون قابلة للتطبيق على علم اللغة"

في حين أن رولان بارت سيعكس الطرح الدسوسيري ويعتبر السيميولوجيا هي الجزء إذ يقول "يجب، منذ الآن، تقبل إمكانية قلب الاقتراح الـدسوسيري، فليست اللسانيات جزءا، ولو مفضلا، من السيميولوجيا، ولكن الجزء هو السيميولوجيا، باعتبارها فرعا من اللسانيات.... إن المعرفة السيميائية لا يمكن أن تكون اليوم سوى نسخة من

المعرفة اللسانية، ... لأن هذه المعرفة يجب أن تطبق، على الأقل كمشروع، على أشياء غير لسانية". وذلك راجع عند بارث إلى كل نطاق سيميولوجي يمتزج حتما باللغة .

وتظهر علاقة السيميولوجيا باللسانيات في علاقة التفسير بتعبير بنفينيست فانطلاقا من قدرة نظام ما على تفسير نفسه وغيره وعجزه عن ذلك و يمكن تقسيم الأنظمة السيميولوجية إلى مستويين:

- مستوى الأنظمة التي تعجز عن تفسير نفسها بنفسها بل تحتاج إلى أخرى مثل الصورة والرمز والصوت.

- مستوى الأنظمة القادرة على تفسير نفسها وغيرها، وهو النظام اللغوي، وفي هذا الصدد يقول بنفينيست : "على الأقل هناك مسألة أكيدة وهي أن السيميولوجيا للصوت أو اللون أو الصورة لا يمكن أن تصف الأصوات، الألوان أو الصور، بل لا بد لها أن تستعير ترجمان اللغة كواسطة ضرورة، بالتالي فإن وجودها متعذر إلا بواسطة سيميولوجيا اللغة .

فلا يمكن الانفتاح على الأنظمة السيميولوجية الأخرى كالطعام واللباس ودراسة خصائصها إلا عبر الدليل اللساني الذي يعين مدلولاتها، ومن ثمة يبدو لنا في النهاية أن نتخيل نظام من الصور أو الأشياء التي تستطيع مدلولاتها أن تتواجد خارج اللغة أمر يزداد صعوبة أكثر فأكثر